

أما قبل...!

د. هلال الحجري

من الشعراء الذين كتبوا للأطفال الشاعر والناقد والفيلسوف الإنجليزي الشهير صموئيل تايلور كولريديج (1772 - 1834)، وهو يعد مع صديقه وليام وردزورث من أقطاب الرومانسية في إنجلترا. سافر إلى ألمانيا وأقام فيها مدة أتقن فيها اللغة الألمانية وقرأ فلسفة كانط وشيلينج وعاد إلى إنجلترا مترجماً ومحاضراً حول الأدب والنقد والفلسفة. توفي كولريديج في عام 1834 بعد عمر من الإحباط الشخصي وخيبة الأمل؛ رحلة من الأحلام المبكرة والتوقعات الكبرى التي هزمها المرض والأفيون. كتب كولريديج سنة 1802 نصاً بعنوان «إجابة لسؤال طفل»، وهو لا يخرج عن اتجاهاته الرومانسية في أسئلة الطبيعة؛ إذ إن كولريديج يجعل كل شيء يغني: الطير، والرياح، والقمر، والإنسان، إلخ..... ولكن النص يطرح إشكالية مهمة تتعلق بأسئلة الأطفال التي تبدو بريئة أو ساذجة رغم كونها عميقة وينبغي عدم تجاهلها. عندما يسأل الطفل: ماذا تقول الطيور؟ علينا أن ننصت له، وألا نسخر من سؤاله هذا؛ فهو عميق وفلسفي لا يحتمل إجابة واحدة. هل الطيور تغني كما يقول كولريديج؟ أم أنها تسبح خالقها؟ أو أنها تقول كلاماً مهماً لا نفهمه نحن البشر؟ سؤال واحد وإجابات محتملة عديدة. فلا تسخروا من أسئلة أطفالكم؛ هذا ما يحمله نص كولريديج العميق.

«إجابة لسؤال طفل»
 ماذا يقول الطير حين حاماً
 هل تسمع الدُوريَّ والحَمَامَا؟
 تُغزِّدُ السُّمْنَةَ والتَّفَاحِي:
 «أجبه... أجبه يا صاح»
 وفي الشتاء لا تبوح حَرْفاً
 إذ تعصف الرياح فيه عَضفاً
 ماذا تقول الريح؟ لست أعلم
 لكنَّه الغناء والترنم
 ثم يعود الدَّفءُ والسرورُ
 تحضُّوْضُ الأوراقِ والزهورِ
 وتمتلي الحياة بالغناء
 بالحُبِّ والشمسِ وبالضياءِ
 والكروانُ ينتشي بالفرح
 يغمره العشقُ وخبَّ المَرَحِ
 فتحتة حقوله الخضراءُ
 وفوقه سماؤه الزرقاءُ
 فكيف لا يشدو ولا يغني
 وكيف لا يغزِّدُ المغنِّي:
 «أجبه، والله لا أنساهُ
 وهو يجبني، أيا الله!»

• مرجعيات حقوق الإنسان

• التعايش الإنساني في ظل القيم الإسلامية الخالدة

• نقد سياسات الهوية خيار أخلاقي وجهد ثقافي

• التضامن الإنساني في الأزمات والبدائل الضرورية للبقاء

• المعرفة والعلم والتعليم

• عُمان ومبادرة الحزام والطريق الصينية

• دولوز بين الفلسفة والإبداع

• طبيعة العلاقة بين الإتيقيا والسياسة في الفلسفة

• فلسفة الإصلاح الإنساني عند الإغريق

• فلسفة الوقف في الإسلام

• نشأة الدول وولادة الحروب